"الأمناء" تنشر الحلقة الثالثة من شهادة الرئيس البيض حول حرب الرفاق في الجنوب :

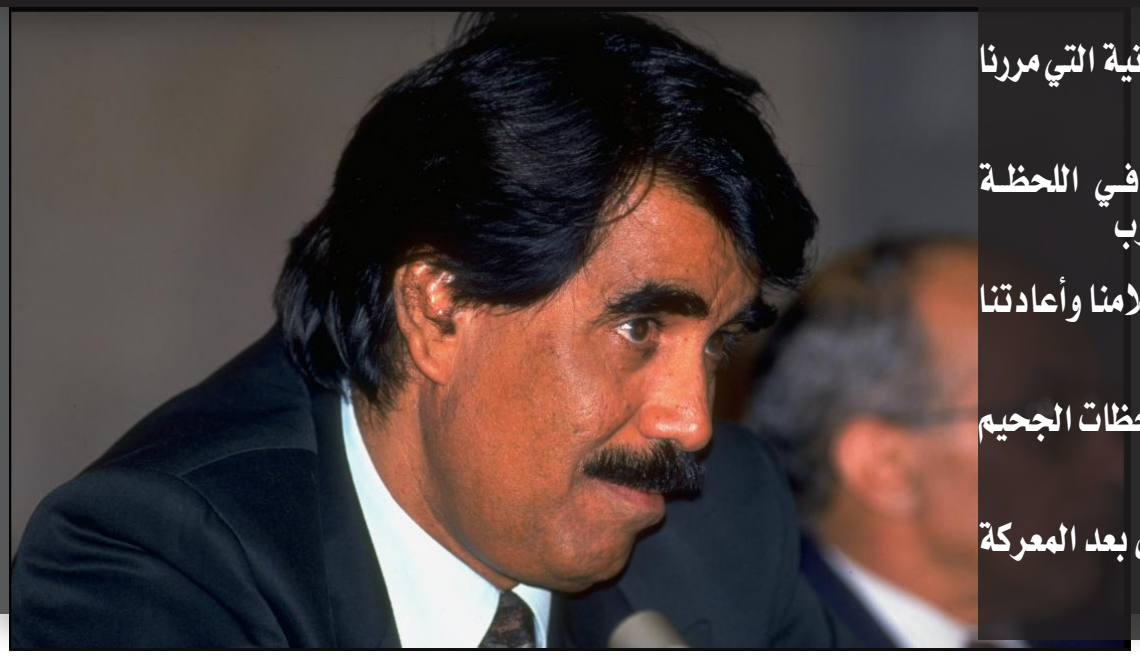

- هذه هي اللحظات الجنونية التي مررنا بها في حرب ١٩٨٦
- السوفييت خذلونا في اللحظة الحاسمة وكشفوا خفايا الحرب
- معركة ١٩٨٦ دمرت أحلامنا وأعادتنا إلى نقطة الصفر
- هربت من الموت في لحظات الجحيم بعد القصف والهجوم
- مشاهد الدمار في عدن بعد المعركة كانت مؤلمة لأقصى الحدود

الأمناء/ خاص:

نشرت صحيفة الأمنـاء في العدد الماضي الحلقة الثانية من مذكـرات الرئيس الجنوبي الأسبق علي سـالم البيض عن حرب الرفاق في جنوب اليمـن ، والذي نشرهـا موقع العربي الجديـد وتنشر الأمناء في هـذا العدد الحلقة الثالثة والأخيرة من تلك المذكرات .

هل أجريتُـم اتصالات سياسـية في تلك اللحظة؟

اتصلـتُ بالسـفير السـوفييتي، بعد أن وصلـت إلينـا معلومات عـن أن هناك بعض قطع الأسـطول السوفييتي قريبة من شواطئ عَدن تسـتعد للإنزال في جزيرة صيرة لإسناد علي نـاصر، وطلبتُ منه ألا تتدخّل موسـكو في شؤوننا الداخلية. وعلمتُ لاحقاً من طريق المترجم، أن تلك اللحظة كانت صعبة للسـفير الذي كان حديثي معـه بمثابة إلقاء القفّاز في الوجه. لقد تفاجأ، لأن بيان علي ناصر قد أعلن مقتلنا، وأعطيت سـماعة الهاتف لعبد الفتّاح إسـماعيل الذي حدّثه أيضاً، ولكن ليس كثيرا، ولم يبدُ عليه الإرتياح. بقيـت حيثيات الموقف السـوفييتي تحتاج إلى توضيح في ظلّ اتهام عـلي ناصر السـوفييت بأنهم الذيـن انقلبوا عليه، مثلما ذكـر في أكثر من حديث صحافي لاحق. طلبت من السـفير سـحب الأسطول وعدم التدخل، في وقت كان فيه حيدر أبو بكر العطاس قد غادر الهند ووصل إلى موسـكو، حيث أجرى سلسلة من اللقاءات، كانت ثمرتها الأولى كبح التدخّل السـوفييتي، وفي الوقت ذاته الحيلولة دون أيّ تدخل خارجي، وخصوصاً من الشـمال. وقد اكتفى الأسطول السوفييتي في حينه بمسـاعدة الأجانب على الخروج من عدن، وحاولت السفارة السوفييتية في عدن أن تلعب دوراً مسـاعداً في ضوء لقاءات العطّاس في موسـكو لإصلاح ذات البين وحقن الدماء، وكان رأيهـم أنه لا مبرّر للنـزاع. وللأمانة، لم يكونوا منحازين إلى طرف ضدّ الطرف الآخر.

أمّا عـن اتهامات علي نـاصر جهاز "كي جـي بي" (المخابرات السـوفييتية) بأنه عمل لإسـقاطه، فإنـه تتوجّـب الإشـارة إلى أن السـوفييت كانوا إلى جانبه في البداية، لكنّه حين هرب إلى محافظة أبيَن، وتبعه محمّد علي أحمد وأحمد مسـاعد حسين سيراً على الأقدام داخل مياه البحر في الليلة نفسها، اختلّ ميزان القوى وتغيّر الموقف.

كيف تـصرّف علي نـاصر بعـد محاولة قتـل خصومه كلهـم الموجودين في قاعة الاجتماعات؟

صدر عنه بيان في الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر ذلك اليوم، جاء فيه أنه أحبط محاولة انقلابية قام بها معارضون له، وأعدم زعماؤها، وهم علي عنتر وعبد الفتّاح إسـماعيل وعلي سالم البيض وصالح مصلح وعلي شائع هادي. وغادر في هذه الأثنـاء في اتجاه مدينته أبين، بعد أن صرّح عن اسـتتاب الموقف، وظهر ويده ملفوفـة برباط أبيض، لكي يوحـي بتعرّضه للاعتـداء، وأعلن أيضاً أن محاولـة لقتل نجله جمال فشـلت. وبالطبع، كانت هـذه البيانات والروايات كلّها مـن بنات خياله ولا صحّة لها. وأعطى إعلانه عن إعدامنا مفعولاً عكسـياً في الشـارع. وأذكر هنا أن مواقف معبّرة، يصعب تصنيفهـا اليوم في أيّ خانـة، لكنّها تظلّ في سـجل الأعمال ذات الأثر الذي لا ينمحي. ومن ذلك أن مجموعة قدمـت من ردفان لنجدة العمّ سـعيد صالح سَـالم (وزير أمن الدولة)، بعد أن بلّغها أنه مُحاصر في عـدن. وتعرّضت تلك المجموعة لأكثر من كمين مسـلح في الطريق، وبذلك تناقص عددها ليصـل إلى بضعة أفراد حـين وصلت إلى حيّ التواهـي في عدن، وما يسجّل هنا أن النجدة وصلت في نهاية المطاف.

كيف كان الوضع العسـكري للمحسوبين على علي ناصر؟

كان الموقف سـيئاً جدّاً، إذ إن انعكاسـات هروب علي ناصر وانهيار قيادته كانت كبيرة، وبقيت في الميدان قيـادات الصفّ الثاني، وهي قيـاداتٌ مقاتلةٌ، لكنّها تأثّـرت بأمرَين: قصف الدبّابات التي كانت في طرفنا، وهروب قيادتها، وأدت الاتصالات التي أجريناها إلى عكس اتجاه الأحداث، حتى الإذاعة أسكتت بواسطة القصف، وسُيطر عليها، وبذلك تغيَّرت اللهجة. مكثنا في ذلك المكان حتى المساء، إلى أن وصلت إلينا ناقلة جند مدرّعة. بدأت بإخراج عبد الفتّاح إسماعيل، وأذكر أنه صعد إلى داخلها، فيما سار الآخرون من حولها، وفوجئتُ بأمر رحيلهم ولم يُعلموني بذلك، بمن فيهم عبـد الفتّاح. تركوني بمفردي داخل اللجنة المركزية، ولم يسألوا عنّي، وكانت دهشـتي كبيرة حين عرفت أني بقيتُ وحيداً، منشغلاً بالاتصالات الهاتفية، في وقت كان فيه أصحابي يبحثون عن سبيل للنجاة. وبَعد نهاية الأحـداث، ومن خلال اعترافـات مُدوَّنة، عرف الطرف الآخـر أني لم أخرج من المقرّ. وبالتالي، كلّفت مجموعة من المسـلحين انتظاري لحظة الخروج عند باب القاعـدة البحرية، التي كان يقودها أحمد صالح الحسني، ويبدو أنهم (في هذا الوقت) كانوا قد أجهـزوا على عبد الفتاح إسـماعيل. وعلمتُ لاحقـاً أن المجموعة التي رافقتـه لم تواصل طريقها معـه حتى لحظة وقوعـه في الكمـين، فبعضها قـرّر التوقّف واللجوء إلى زوايا آمنة، بدلاً من تعريض نفسه للمجهول.

هل بقيتَ داخل المقرّ وحيداً؟

في هذه الأثناء قرّرت الخروج بمفردي، رغم الإضاءة القوية في الشـارع، التي تُساعد على تحديد ملامح الشـخص من كثب، وبذلك كان يمكن للنار أن تأتيني مـن أيّ جهة، خصوصاً أن الطـرف الذي رتّب عمليـة الصباح، كان قد تنبّـه لإمكانية خروج بعـض الأحياء من هذا الطريق، وحسب حسـابها أيضاً، وبالتالي أعدّ العـدة لإيقاعهم في الشرك. ولحسـن الحظ، شعر سـعيد صالح الذي كان يوجد في المنطقة بالانزعاج حـين علم بخروج جماعتي من دون أن تصحبني معها، فأرسـل دبّابة كي تُخرجني مـن المكان، لكنّها لم تتمكّـن من الوصول إلى الباب، انتظـرتُ في مكان قريـب، وما عادت الدبابة قادرة على الإقلاع حَين جلستُ إلى جانب المدفعيّ الذي أشرت عليه برمي طلقة كي يساعد الآلية على الارتفـاع قليلاً من حفرة وقع فيها. رمى طلقة نحو الجبـل، فتحرّرنا من الحفرة، وسار مسـافة قصيرة ثمّ توقف. قلت له أن لا يقف فهنا منزل محمّد علي أحمد. وفي القريب، كان سـعيد صالح بانتظارنا. وحين لم أستطع تحمّـل الحرارة داخـل الدبابـة، فتحت البرج وخرجت مبتعداً قليلاً، وأنا أطلب من السـائق الابتعاد بسرعة، وما كـدتُ أكمل كلامي حتى سقطت قذيفة آر بي جي على الدبابة لتحرقها بمن فيها، وأصيب سعيد صالح بشظية.

مع ذلك، سرنا في الشـارع، كان إلى جانبه بضعة مرافقيَن، وبقينا في الاتجاه الذي يؤدّي إلى التواهي، حتى وصلنا إلى معسكر الشرطة العسـكرية. جلسـنا هناك، وشرعنا بتجميع الصفـوف، وصعدنا بالعم سـعيد صالح إلى المستشفى، ثم انتقلنا إلى مقرٍّ كان يتبع للجبهة الوطنية. وفي اليوم التالي، حاولنا صعود الجبل قصد إقامة مقرّ القيادة هناك، وإذا بهم يرموننا بشتّى أنواع الأسـلحة، لكن الذي حمانا وجود سواتر إسـمنتية، أتاحت إمكانية اتقاء النيران. كان قصفاً مركّـزاً بكل معنـى الكلمة. كانت معركة فعلية، وبلغت التعبئة ذروتها، خصوصاً أن المقاتلين من أبنـاء المناطق الأخرى معروفٌ عنهم الشجاعة حتى التهور والجنون.

هل تعرّضت لأيّ إصابة؟

أصبـت في المعدة، جـاءت الرصاصة في الأمعاء، ومرّت بجانب الكبد والقفص الصدري، ولم تُصبهما، فيما أصابتني رصاصة أخرى في الفخذ، وشـقّت طريقها في اللحم، ولحسـن الحظ لم تُصب العظم، إلا أنها اسـتقرّت بعد أن قطعت العصب. صعدنا، فوجدنا سـعيد صالح كان قد سبقنا، فنقلوني مباشرة إلى العمليات من أجل إخراج الرصاصة. أدخلوني إلى العناية المكثّفة، لكنّي لم أسـلم من الرصاص الذي كان يأتي من الجبل المقابل من قنّاص لا يملّ الرمي، بناءً عـلى معلومات نقلها أحـد الاطباء الذين قاموا بالعمليـة، إذ تبيّن أنه مـوالٍ للجماعة الأخرى.

ما المدّة التي استغرقها القتال؟

اشتدّت المعارك في صورة غير عادية، حتى ليظـنّ المـرء أن أبواب الجحيـم انفتحت على مصراعيها، وبدأت تصبّ حممها. كان القصف من كلّ مـكان، من البرّ والبحـر والجو، وفي جميع الاتجاهات. هي لحظة جنون اسـتمرّت قرابة عشرة أيام بلياليها، لم تهدأ فيها وسـائل القتـل والدمار دقيقة. وحـين أنظر اليوم إلى تلك اللحظـات المجنونة في تاريـخ التجربة، أتساءل: هل يكفي جنون السلطة وحده لتدمير البلد وسـفك دماء الناس على ذلك النحو؟ لقد عزّت حتى شربة الماء، وفي المستشـفيات ترك الأطباء للجرحى أن يستعيضوا عن الماء بأكياس المغذّيات البلاستيكية.

إذن، تطوّر الأمر إلى حرب أهلية؟

انقلب فشل الكمين الذيّ نصبه علي ناصر إلى حـرب أهليـة سريعة الإيقـاع. وحتى لو نجح الكمين، فإن عدد الضحايا كان سـيصير مرتفعاً، لأن هناك من يثأر دائماً وينتقم، وهناك من يرفض الموت بهامـة محنية، إلخ. احتفاظ الطرفين بأسـلحة متنوعة وثقيلـة هو الذي أدّى إلى الدمار الشديد، وأوقع العدد الكبير من الضحايا. هـذا بالإضافة إلى أن علي ناصر كان قد استعدّ لهذه اللحظة. وبالتالي، كان قد حدّد أهدافه بدقّة، وقـد أصاب بعضها في اللحظات الأولى، مثل التصفيات الجسـدية التي شملت بعض العسكريين.

كم مكثتَ في المستشفى؟

نُقلـت إلى دار الرئاسـة في اليوم العاشر للمعـارك، حيث أحضرت زوجتـي التي كانت، لحظة انفجار الموقفَ، في المدرسـة الحزبية، في حين أن الولد والبنـت بقيا في المنزل. ظلّت زوجتي بعـض الوقت ضائعة بـين جملة من الأخبـار، هناك مـن يؤكّد لهـا أني في قائمة المفقودين، وآخرون يؤكدون العكس. وبالإضافة إلى ذلك، الطفل والطفلة تشرّدا لأن السيدة التي كانت تُعنى بهما، والشخص الذي كان يساعدها في ذلك، أصابهـما حالٌ مـن الاضطراب بعد تعرّض المنزل للقصف.

حين انتقلتُ من المستشـفى إلى الرئاسة، قمت بجولة في عدن بغـرض الاطلاع على ما خلّفتـه دورة العنف، فوقفتُ عـلى ما لم أكن أتوقّع أنني سأراه في حياتي. كانت عدن مدينة محترقة ومتفحّمة، الحديد في الشوارع، حطام الآليات، المحروقات والزيـوت، المباني مدمّرة، السيارات مهشمة. كان مشهداً مؤلماً إلى أقصى الحدود. لم أتعرّض في حياتي لصدمة لها الوقع نفسُه، احترق كل ما بنيناه.

ترك علي ناصر ومؤيـدوه منطقة أبين إلى الشـمال في 26 يناير 1986، بعد أن تأكّد لهم عدم جدوى الاستمرار في القتال، فهم خسروا ميدانيـاً، ولم تصل إليهم نجـداتٌ من الخارج. كانوا يعوّلون على الشمال والاتحاد السوفييتي وإثيوبيـا. خرج علي ناصر بعد أن قسـم البلد إلى قسمين، وشـقّ الجيش. قاتلت إلى جانبه القوى البحرية، في حـين أن الدروع والمدفعية والغالبية العظمى من النـاس إنحازت للطرف الآخـر. الملاحظة التي سُـجّلت عـدم حصول معركة عسـكرية تقليدية، بل هو تلاطم أهلي، وضرب بشـتى الوسـائل، في رقعة محدودة. هذا هو السبب الذي يقف وراء العدد الكبير من الضحايا والدمار الواسـع. فلو جرت مواجهة عسـكرية تقليدية، لما أدّت إلى هذا العدد الهائل مـن الضحايا، الذي يقدّر بحـوالى أربعة آلاف قتيل، وأعداد كبيرة مـن الجرحى، في حين أن العدد الذي جرى تداوله تحدّث عن ثلاثة أضعاف الضحايا البشرية، وخسائر ماديّة تقدّر بأربعة مليارات دولار.

هناك من يعتبر أن تلك المعركة أنهت تجربة اليمن الديمقراطي، ما هو رأيك؟

نعم، تلك الحرب هـي التي وجّهت الضربة القاضيـة إلى تجربـة اليمـن الديمقراطي، وحطّمت كل ما شُـيّد قبل ذلـك، وأعادتنا إلى النقطة الصفر، وكانت الخسارة بشريةً قبل كل شيء. وفي اعتقادي، كل شيء يمكن تعويضه على نحو سريـع، إلا فقدان الـثروة البشرية المؤهلـة، فهذا يحتاج زمنـاً طويلا. لذلك تولي الدول المتقدمة الاستثمار البشري عناية خاصة. ما خسرناه نحـن في تلك الحـرب هو الكادر السياسي والعسـكري الذي بنيناه طوال ثلاثة عقـود أو أكثر، ومن نجا مـن الموت فإنه وقع ضحية الإحباط، سـواء خرج مع علي ناصر أو بقي في البلد، إن البلـد خسر نحو 1500 كادر عسـكري خرجوا مع علي نـاصر، غير الذين فقدهم في ساحة المعركة، ومثلهم من الكوادر السياسـية الذين صرفنا على تكوينهم، وتعبنا من أجل تكوينهم. ولسـتُ أبالغ حين أقول إن كارثة 13 يناير (كانـون الثاني 1986) وجهت ضربة قاصمة للتجربة، وكادت أن تقضي عليها في صورة نهائية.

لو نظرنـا إلى الموقـف عشـية المذبحة، لوجدنا أن الطرفيْن كانا يسـتعدّان للمواجهة، وليس علي نـاصر وجماعته فقط، ما يعني أن المسـؤولية يجب أن توزّع في صورة عادلة، ولا تُرمى كلها على ظهر علي ناصر، الذي يتحمل، من دون شك، القسط الاكبر منها، ما رأيك؟

هذا التشـخيص دقيق، لكن كل طرف كان يسـتعد في اتجاه. من جانبنا، كنّا نسعى لمنع حصول الكارثة، لأننا كنا ندرك ماذا يعني انفجار الوضع. في حين أن عـلي ناصر لم يكن يمتلك التقدير الـكافي لأبعاد اللجـوء إلى التفجير. وربما غرّر بـه بعضهم، وأقنعـه بأن الأمر لا يتجاوز تصفية عدة أشـخاص، عبـد الفتاح إسماعيل، علي عنتر، وعلي سالم البيض، وبعد ذلك يسـتقيم الوضع له. وكما سبق أن أشرت، كان هدفنا مواصلة معركة النضال الديمقراطي داخل هيئـات الحزب المختلفة، وعلى أسـاس الأغلبيـة، بل كنّـا قد ذهبنـا في اتجاه تبريد الموقف، وتأجيل بحث القضايـا مثار الخلاف، حتى يحين وقـت حلها في صورة هادئة. وهنا أتذكر أننا كنا نجلس في الليلة السابقة لانفجار الموقف في منزل عبد الفَتّاح إسـماعيل، وكانت قناعة علي عنتر أن المخرج الوحيد سلوك سبيل النضـال الديمقراطي، وأن أي حـل آخر معناه تدمير البلد والتجربة، وتحدّث عن ضرورة إيجاد قدر من التوازن الذي يجبر علي ناصر على قبول الحل.

الأمناء
المشرف العام
د. صدام عبدالله
رئيس التحرير
عدنان الأعجم
مدير التحرير
غازي العلوي
مدير الإخـراج الفني
مراد محمد سعيد
قسم التقارير
د. سالم لعور
alomana2013@gmail.com

الاراء والكتابات الواردة في الصحيفة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الصحيفة وانما تعبر عن وجهة نظر اصحابها.

عدن - المنصورة - شارع القصر تلفون: 341948 وللتواصل عبر الواتساب (772331158) للتواصل حول اعلاناتكم على 771210175